المحاضرة الثانية عشرة:
مصادر النقد العربي

ظهرت بعض ملامح الدرس النقدي العربي في العصر الجاهلي، حيث كان الشعراء يمتهنون حرفة النقد، فيميزون بين جيّد الشعر ورديئه. ثمّ ما لبثت الملاحظات النقدية تنمو وتتطوّر في العصر الإسلامي بفضل القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ. وفي العصر الأموي بدأت تتبرعم صورة النقد العربي من خلال تعدد الملاحظات وتنوّعها جراء التطوّر الكبير الذي شهدته الساحة الثقافية آنذاك،

ولا نكاد نصل إلى العصر العباسي حتّى نجد أنّ الملاحظات النقدية قد اتّسعت بسبب تطوّر الحياة العقلية والحضارية وامتزاج الثقافات. ولم يعد النقد الأدبي في هذه الفترة مجرّد أحكام تورد هنا أو هناك، بل أخذ مكانه في منظومة التأليف العربي بوصفها فعلا ثقافيا وحضاريا، حيث بدأت تظهر أولى مصادر النقد الأدبي. ولعلّ أهم مصادر النقد الأدبي هي:

1- **طبقات فحول[1] الشعراء: مؤلّفه ابن سلاّم الجمحي:** ويعدّ الكتاب أول مصادر النقد العربي، حيث ألّفه الجمحي منذ القرن الثاني الهجري، تزيد صفحات الكتاب 850، قسّمه صاحبه إلى أربعة أجزاء. يغلب عليها الطابع النقديّ، ويظهر ذلك جليًّا بدءًا من أُولى صفحاته، فقد تعرّض الجمحي لجملة من القضايا أبرزها قضية انتحال الشعر وتصنيف الشعراء، حيث ناقش مسألة الشعر الموضوع من منظور عقلي، ولم يتردد في انتقاد مشاهير الرُّواة، ودعا إلى ضرورة تنقية التراث الشعريّ من الزّيف ومن الشعر المنحول الذي نسبه بعض الشعراء والرَّواة – كذبًا – إلى شعراء الجاهلية، وهو ليس من الجاهلية في شيء. كما حدد القواعد التي اتبعها لتصنيف الشعراء ولتفضيلاته الشعرية، فصنّف طبقات الشعراء على ثلاثة مقاييس كانت هي مرجعه للمفاضلة بينهم وهي: الكَمّ أي كثرة شعر الشاعر، تعدد أغراضه، جودة شعره. وقد قام محمود محمّد شاكر بتحقيق الكتاب وطبع في طبعة جيّدة في دار المعارف بالقاهرة سنة 1953م.

2- **الشعراء والشعراء) لابن قتيبة**: وهو من مصادر النقد الأولى، مكوّن من جزئين في مجلدين، ويضمّ مقدمة نقدية يعدُّها الباحثون من بواكير النقد الأدبي. وهي مقدمة قيّمة "نفيسة تدلّ على عبقرية ابن قتيبة وقوة شخصيته وحرية فكره وآرائه القيمة في النقد، وفطنته للمقاييس الفنية، والقيم الجمالية منذ ذلك الوقت المبكر". وقد ذكر في هذه المقدمة منهج الكتاب والغرض من تأليفه حيث يقول: "هذا كتاب ألّفته في الشعر، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطاء في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها". وقد تحدّث في هذه المقدمة على عديد القضايا النقدية، أهمها: القديم والحديث، اللفظ والمعنى، الموهبة الشعرية، التقليد والاحتذاء، إثارة الإبداع، خلود الشعر، الضرورات الشعرية، أولية الشعر. ويعدّ محمود شاكر أشهر من حقّق هذا الكتاب هو أحمد محمد شاكر.

3- **البديع لابن المعتزّ:** يعتبر من الكتب الّتي شكّلت منعرجا حاسما، ونقطة تحوّل في تاريخ الدراسات النقدية البلاغية، وعلامة بارزة في مسار النظرية الأدبية عند العرب[2]. وترجع أهمّية هذا المؤلّف إلى أنّه قد تميّز عمّا سبقه بالتنظيم المحكم، في الطرح والتبويب والتأصيل؛ حيث ساعد- حسب محمّد مندور- على خلق النقد المنهجي من خلال تحديد ابن المعتزّ "لخصائص مذهب البديع، ووضعه اصطلاحات لتلك الخصائص، وعنه أخذ من جاء بعده"[3]. وقد عمد ابن المعتزّ في

---

[1] . وقد قيل أن كلمة "فحول" دخيلة على اسم الكتاب وأن اسمه " طبقات الشعراء " فقط.

[2] - حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، سنة 1981، ص272.

[3] - محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة2007، ص61.

مستهل كتابه إلى التأكيد على أنّ فنّ البديع ليس من اختراع الشعراء المحدثين أمثال بشار وأبي نواس وأبي تمّام، وإنّما كان موجودا من قبل في القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ وأشعار المتقدّمين. وعليه فإنّ اشتهارهم بهذا الفنّ لهو دليل على أنّه كان معروفا عند من سبقهم، فلمّا كثر عندهم عُرفوا به[4]. وقد قسم ابن المعتزّ فنّ البديع إلى خمسة أقسام هي الاستعارة والتجنيس والمطابقة أو الطباق وردّ الإعجاز على ما تقدّمها والمذهب الكلامي. ولعل أشهر تحقيق لكتاب "البديع" لابن المعتز هو تحقيق المستشرق الروسي **اغناطيوس كراتشوفسكي** الذي طُبع في دار المسيرة بالأردن، فضلا عن جهود باحثين عرب تناولوه مثل **محيي الدين عبد الحميد**

4- نقد الشعر : مؤلفه هو قدامة بن جعفر، ويعدّ هذا الكتاب من الكتب النقدية العربية الهامّة الّتي سعى فيها صاحبها إلى تأسيس ما يسمّى بـ علم الشعر، حيث يرى أنّ العلم بالشعر يتّخذ أقساما عدّة، فقسم يُنسب إلى علم عروضه وأوزانه، وقسم يُنسب إلى علم قوافيه ومقاطعه، وقسم يُنسب إلى علم غريبه ولغته، وقسم يُنسب إلى علم معانيه ومقاصده، وقسم يُنسب إلى علم جيّده ورديئه"[5]. ويرى أنّ الأقسام الأربعة الأولى قد أخذت حقّها من العناية من قبل الدراسين، غير أنّ القسم الخامس لم ينل حظّه من المدارسة والإبانة. ومن هذا المنطلق كان سعيه في هذا الكتاب هو تحديد جيّد الشعر من رديئه، حيث يحدّد للشعر أربعة عناصر: هي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية، ثمّ يتعرّض إلى جودة كلّ عنصر من هذه العنصر ورداءته، وعن جودة ائتلافها وعيوبها. حقّق نقد الشعر عدّة مرّات، أشهر تحقيقات كتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر هي التي قام بها **كمال مصطفى (1963م)** و **محمد عبد المنعم خفاجي**، (1985)[6].

5- عيار الشعر: مؤلّفه هو أبن الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا، وهو أحد الكتب الجليلة في النقد والبلاغة، ألّفه ابن طباطبا بناء على طلب أبي القاسم سعد ابن عبد الرحمن.، وقد تناول الكتاب حقيقة الشعر، حيث تحدّث عن مفهومه وعياره وصناعته وأدواته ومراحله وغموضه وتعقيده وإيحاءاته، محذرا من الشعر البعيد القلق، وعن بناء القصيدة من حيث حسن الاستهلال والتخلّص. كما ركّز بشكل واضح على التشبيه وضروبه وأدواته وطريقة المولّدين في بنائه، واقفا عند قضية المعاني والألفاظ، والسرقات الشعرية الّتي أسماها بالمعاني المشتركة. ويبدو- كما يقول إحسان عبّاس أنّ ابن طباطبا استفاد من مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة، كما استفاد من الثقافة الاعتزالية في عصره. ولقد تأثر كثيرون بالعيار، ومنهم التوحيديَّ فأكثر النقل عنه في "البصائر" وفي "المنتزع". ولعلّ أفضل تحقيق للكتاب قام به عبد العزيز بن ناصر المانع، في طبعة جيّدة نشرتها دار العلوم للطباعة والنشر بالمملكة السعودية، سنة 1405هـ/1985م

6- الموازنة بين الطائيين مؤلّفه أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى **الآمدي،** ويعدّ كتاب الموازنة من أمهات كتب النقد الأدبي التي استقرت فيها أصول النقد العربي، ويحتوي الموازنة على خمسة أقسام يضمّ القسم الأول آراء النقاد في شعر أبي تمام والبحتري، مع استقصاء لرأي المتعصبين لهذا أو لذاك، أمّا القسم الثاني فخصّه لذكر أخطاء أبي تمام في اللفظ والأسلوب والمعنى، وخصّ القسم الثالث لذكر استعاراته المستهجنة، وطباقاته المستكرهة وسوء نظمه، وتعقيد تركيبه، ووحشي ألفاظه، وكثرة زحافاته، وأفرد القسم الرابع لتحليل عيوب شعر البحتري، وانتهى في القسم الخامس إلى الموازنة بين الشاعرين في المعاني التي اتفق موضوعها في شعرهما ٠وقد عدّ هذا القسم أهمّ أقسام كتابه لصعوبة نقد الشعر. ولقد زعم الآمدي أنّه سيكون منصفا في الموازنة بين الشاعرين فقال: فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر"، ولكنّك تجده، بعد ذلك، متعصبا للبحتري، إذ أنّه لما أتي إلى ذكر عيوب البحتري قال: "أما مساوئ البحتري، فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بشيء يكون

---

[4]- ابن المعتّز: البديع، تعليق: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3(1982)، ص01.

[5]– نفسه، ص61.

[6] - لعل أفضلها تحقيق المستشرق س.أ. بونيباكر (s.a. Bonebakker)، الّتي طبعت سنة 1956م في طبعة جيّدة بمطبعة بريل (E.J. Brill بمدينة ليدن Leiden).

بإزاء ما أخرجته من مساوئ أبي تمام (...) فلم أجد في شعره لشدة تحرزه، وجودة طبعه، وتهذيبه لألفاظه من ذلك إلا أبياتاً يسيرة) ولم يذكر من سقطاته غير ثماني سقطات. ولعلّ أفضل تحقيق لكتاب الموازنة قام به محمد محيي الدين عبد الحميد، وطبع في المكتبة العلمية في بيروت سنة 1363هـ/1944م

7- العمدة في محاسن الشعر وآدابه:: وهو أشهر مؤلفات ابن رشيق القيرواني، التي تنيف على ثلاثين كتابًا، وفي هذا الكتاب نجد 59 بابًا في فصول الشعر وأبوابه، و39 بابًا في البلاغة وعلومها، و9 أبواب في فنون شتى، و**من** أبوابه الممتعة باب سرقة الشعر وأنواعها. **وقد ألف** ابن رشيق عمدته ما بين سنة 412 و425 هـ وأهداه لأبي الحسن بن أبي الرجال الشيباني مربِّي المعزّ بن باديس، ورئيس ديوان كتَّابه الذين كان منهم ابن رشيق، ورجع فيه إلى ما ينيف على الثلاثين كتابًا غير الدواوين، منها كتب ضاعت بتمامها؛ كطبقات الشعراء لدعبل، والأنواء للزجاجي، وعلى العمدة معوَّل كل من طرق هذا الباب من الكتَّاب، وقد نقل منه ابن الأثير في كتابه (كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب) مائة وإحدى عشرة صفحة كاملة، وللعمدة نسخ مخطوطة في الكثير من مكتبات العالم، إلا أن أقدمها لا يتجاوز عام 679 هـ، وقد أتى على وصفها ووصف طبعات الكتاب منذ طبعته الأولى بتونس سنة 1865م الدكتور محمد قرقزان في طبعته المميزة للعمدة، وأشار في مقدمتها إلى عثرات ابن رشيق وأخطائه وأوهامه، وأتبع ذلك بذكر ما لحق طبعاته المختلفة من التصحيفات والتحريفات، ولابن رشيق كتاب يعتبر بمثابة الذيل للعمدة، سماه: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب.

8- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: مؤلّفه هو ضياء الدين بن الأثير، يعدّ هذا الكتاب من أبرز الكتب النقدية في العصر الأيوبي، ولاسيّما أنّ صاحبه من أشهر الكتّاب والنقاد في ذلك العصر، وقد جمع في هذا الكتاب فنون البلاغة في الأدب. ولاقى هذا الكتاب قبولاً في الوسط النقدي منذ ذلك الحين، لكنّه في الوقت نفسه لاقى هجوماً من أطراف أخرى، وقد كان ذلك ردّ فعلٍ على ابن الأثير الذي حاول أن يكون مبدعاً أكثر منه متّبعاً، لكنّ نشاطه النقدي بقي في دائرة التراث النقدي عموماً، وإنّ سمات التفرد أو تحقيق الإضافة لم تكن إلّا في نطاق الذوق الفردي الذي لا يرقى إلى إنتاج مفهومات نظرية حادثة. ومن ثَمَّ فإنّ جهوده لم تتكشّف عن طابع منهجي منظّم، ومن هنا نجد اختلاط المستويات بين الاتّباع والابتداع، وهذا يترجم عن رؤية نظرية غير متماسكة، تفتقر إلى الاتّساق الداخلي، وتبدو قاصرة عن النهوض ببناء منظور متكامل ورؤية منظمة .